الاسرائيلي، أورى أفنيري، لوحة معبّرة عن صورة السلام في العقل الاسرائيلي، حيث روى: «ألقيتُ محاضرة في كيبوتس تحدثت فيها عن السلام، وعن اسرائيل مندمجة في شرق أوسط متحدّ ومزدهر، تكرس مواردها لانشاء صناعة تقنية بالغة التطور بدلاً من الحرب.

«وأنصت أبنـاء الكيبوتس بأدب، وانتباه، وتشكك؛ اذ كل ما قلته كان أشبه بالخيال العلمي بالنسبـة اليهم. فعندهم، الحرب هي الحالة الطبيعية للأشياء. وهم يعرفون ما يصنعون من أجل الحرب؛ فالكفاح لا يخيفهم. غير ان السلام شيء آخر، أبعد من مدى رؤيتهم، وشيء محيّر، بل لعلّه مخيف، شأنه شأن أي شيء مجهول.

«وعندما حان وقت الاسئلة، وقف أحد أبناء الكيبوتس، والذي بدا أشبه ما يكون بقائد دبابة من ضباط الاحتياط، ووجّه الي سؤالاً عملياً مباشراً، فقال: تريدنا ان نتخلى عن الكثير من الأراضي، وعن ثروة سينـاء النفطية، وعن العمق الاستراتيجي، وعن أشياء أخرى؟ فما الذي سنحصل عليه في المقابل، قصاصة ورق؟»[٦١].

السلام وعجز القوة

ان كساد فكرة السلام، في الثقافة السياسية الاسرائيلية، ناجم عن حقيقتين: انتفاء الرغبة، من جهة، وانتفاء الحاجة، من جهة أخرى. فالاسرائيلي ليس راغباً في التصالح مع، والاندماج في، محيط يراه بدائياً، ويسقط عليه كل الصفات السلبية، باعتباره عدواً نموذجياً. كما ان الاندماج في الشرق الأوسط «المتخلّف»، لن يتمّ الاّ على حساب الانتماء الى الغرب «المتحضر» الذي يرى الاسرائيلي نفسه جزءاً منه، وامتداداً له، وحامياً لمصالحه. كذلك، فان الاسرائيلي لا يشعر بالحاجة الى التصالح مع هذا المحيـط، ما دام قادراً على فرض نفسـه عليه بالقوة، وما دام هذا المحيط عاجزاً عن الحاق الأذى بالاسرائيلي، ممّا قد يضطر الاسرائيلي الى مصالحة محيطه، تفادياً للمخاطر المترتبة على الصراع معه.

وتـظل عناصر هذا الموقف السلبي من السلام ثابتة، بثبات معادلة القوة التي تشكل الركيزة الأساسية للثقافة السياسية الاسرائيلية، ممّا يعني ان أي تبدّل في عناصر معادلة القوة يمكن ان يؤدي الى تبدّل مواز في الموقف الشعبي، والرسمي، الاسرائيلي من موضوعة السلام. ويمكن للمرء ان يجد العديد من الشواهد على ان رؤية الاسرائيليين الى أهمية السلام مع العرب، كانت، ولا تزال، نابعة من تقديرهم لموازين القوى بين العرب والاسرائيليين، وان حماس الاسرائيلي للسلام يتناسب، عكسياً، مع احساسه بالقوة.

فعقب حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧، ازدادت، بفعل نشوة النصر، النزعة اليمينية المتطرفة في اسرائيل، وطالب معظم القوى الشعبية والأحزاب السياسية بعدم الانسحاب من الأراضي التي احتُلت في الحرب. ولكن، وبعد أقل من ثلاثة أعوام على الحرب، وهي الفترة التي شهدت تصاعد نشاط المقاومة الفلسـطينيـة ونشـوب حرب الاستنـزاف على قنـاة السـويس، بدأ الرأي العـام الاسرائيلي يبدي استعدادات عالية للانسحاب من المناطق المحتلة، أو من معظمها، مقابل اتفاقية سلام مع العرب (السلام هنا يعني وقف الأعمال العسكرية). وفي آذار (مارس) ١٩٧٠، عبّر ٨٢ بالمئة من الاسرائيليين عن استعـدادهم للتنازل عن أراض محتلة، مقابل اتفاقية سلام[٦٢]. ولمعرفة سبب هذا التطور في الموقف الاسرائيلي من موضوعة السلام، يمكن العودة الى ما كتبه القائد السابق للمنطقة الوسطى، العميـد عوزي نركيس، العـام ١٩٦٧، عن الحـالة المعنوية لدى الاسرائيليين عقب تصاعد حرب الاستنزاف: «ان رقّاص المعنويات هو، بدون شك، أكبر مصيبة حلّت بنا بعد حرب الأيام الستة...